



منهج الإسلام في الوقاية من الأوبئة

يواجه عالمنا المعاصر اليوم مخاطر تهدد صحة الإنسان كانتشار الفيروسات التي لم يتوصل العلم الحديث إلى علاجها، ولعلكم قد سمعتم عن فيروس كورونا وما يثار حوله من أقاويل لا نعلم مدى صحتها، لكن الذي نعلمه جيداً وعلى يقين منه أن الإسلام والذي جاء لسعادة الإنسان في الدارين قد سبق كل الأنظمة المعاصرة فجاء بمنهج رباني يحفظ صحة الإنسان؛ فمن الضروريات الخمس التي جاء الإسلام لأجلها حفظ النفس أي: صيانة النفس البشرية عن أي ضرر أو أذى يقع لها، وفعل ما ينبغي للحفاظ عليها وصيانتها؛ ولذا وضع الإسلام جملة من التعاليم التي تحفظ النفس البشرية وتحول دون وقوع المخاطر التي تهدد صحة الإنسان ومنها: منهج الإسلام في الطب الوقائي، فوضع لنا الإسلام منهجاً للوقاية من الأمراض والفيروسات المعدية قبل وقوعها وبعد وقوعها، فعن منهج الإسلام في الوقاية من الأمراض قبل وقوعها نرى أن الإسلام قد دعا إلى النظافة بكافة أشكالها فأخبرنا ربنا جل وعلا أنه يحب أهل النظافة قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } (البقرة: 222)، وأثنى الله تعالى على أهل مسجد قباء فقال تعالى: { فِيهِ رَجُلٌ يُجِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ } (التوبة: 108)، وعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف الإيمان بالله تعالى فقال صلوات ربي وتسليماته عليه فيما رواه مسلم من حديث أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه: [الطهور شرط الإيمان]، وجعلت الطهارة في الإسلام شرطاً في صحة كثير من العبادات كالصلاة والطواف بالبيت ومس المصحف وحمله والمكث في المسجد، وفي الصلاة على وجه الخصوص نحتاج إلى الطهارة من الحدين الأصغر والأكبر، منظمة الصحة العالمية دعت إلى ضرورة المحافظة على غسل الأيدي قبل الأكل وبعده وبعد قضاء الحاجة وهذا كله موجود في الإسلام بل وأكثر من ذلك ومن قبل عصور المدنية الحديثة والتطور العلمي الكبير في كافة مجالات الحياة؛ فالمسلم يغسل يديه بل وفمه وأنفه ووجهه وأذنيه ورأسه وقدميه في اليوم خمس مرات في كل مرة ثلاث مرات على السنة أي يغسل المسلم المحافظ على الصلاة أعضاء مخصوصة من جسده في اليوم الواحد خمس عشرة مرة، وسبحان الله هنا إعجاز علمي؛ لأن الأعضاء التي نغسلها في الوضوء هي أعضاء الجسد المكشوفة وهي التي تتعرض في الغالب للأتربة، الهواء، التلوث، والجراثيم، وبالوضوء يقي الإنسان نفسه من الإصابة بالكثير من الأمراض، كما حثنا الإسلام على نظافة اليدين قبل وبعد الأكل والشرب كما عند النسائي من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: [كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن ينام وهو جنب توضأ وإذا أراد أن يأكل أو يشرب قالت: غسل يديه ثم يأكل أو يشرب]، وعندما تستيقظ من نومك كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: [إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً فلا يدري أحدكم أين باتت يده]، كما دعا الإسلام إلى نظافة مواضع معينة في الجسد يكثر فيها العرق وتنتشر فيها الميكروبات إذا تُركت بدون نظافة وعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم من سنن الفطرة فقال صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة: [خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد (حلق العانة)، وتقليم الأظفار، وشفط الإبط، وقص الشارب]، كما دعا



الإسلام إلى نظافة الفم والأسنان في قوله صلى الله عليه وسلم: [لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة] (رواه الترمذي عن أبي هريرة), كما يتجلى منهج الإسلام في الطب الوقائي في تحريمه لبعض الأطعمة والأشربة كتحريمه للحم الخنزير لما فيه من خبث وقذارة , وتحريم الخمر والمخدرات وكل ما يؤثر على صحة الإنسان, كما حثنا على نظافة الطعام والشراب والتوسط والاعتدال في طعامنا وشرابنا كما في قوله صلى الله عليه وسلم: [ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه, فإن كان لا محالة فثلث لطعامه, وثلث لشرابه, وثلث لنفسه] (رواه الترمذي عن المقدم بن معد يكرب), وحثنا أيضاً على نظافة البيئة التي نعيش فيها وألا نتسبب فيما يؤذي غيرنا أو يؤذي غيرنا فمن قواعد الإسلام العظيمة ما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: [لا ضرر ولا ضرار] (رواه ابن ماجة عن أبي سعيد الخدري), من ذلك حينما يعطس الإنسان تخرج الميكروبات من فمه وتنتشر في المكان المحيط فعلمنا الإسلام ألا نؤذي غيرنا بما يخرج من فمنا من ميكروبات وأن نحافظ على صحة المكان فروى أبو داود والترمذي عن أبي هريرة قال: [أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا عطس غطى وجهه بيده أو بثوبه وغض بها صوته], أما عن منهج الإسلام في الطب الوقائي بعد وقوع المرض فيتمثل في دعوة الإسلام إلى الأخذ بالأسباب والتداوي لما رواه أبو داود والترمذي عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: [كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وجاءت الأعراب فقالوا: يا رسول الله أنتدأوى؟ قال: نعم تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء أو قال دواء غير داء واحد قالوا: وما هو؟ قال: الهرم], وفي الأمراض المعدية على وجه الخصوص وضع الإسلام ما يعرف اليوم بالحجر الصحي الذي يقوم على عزل المرضى عن الأصحاء فقال صلى الله عليه وسلم: [إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها, وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها] (رواه البخاري عن أسامة بن زيد), والطاعون على وجه الخصوص له أحكامه التي لا مجال لذكرها الآن, لكن العلة المستفادة من الحديث الشريف هي عدم انتشار العدوى, فينبغي أن يبقى المريض في مكان والصحيح في مكان لا يقتربان من بعضهما بين ذلك أيضاً رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: [لا يوردن ممرض على مصح] (رواه البخاري عن أبي هريرة). إخوة الإيمان والإسلام: ما ذكرته عن منهج الإسلام في الطب الوقائي على سبيل المثال لا الحصر وهو قليل من كثير جداً جاء به الإسلام في الحفاظ على صحة الإنسان والوقاية من الأمراض لتعلموا عظمة الإسلام ولتعننوا وتفخروا بدينكم الذي أنعم الله به علينا جميعاً.

كتبه الشيخ الدكتور/ عبد الحي عيد سرحان – مبعوث وزارة الأوقاف المصرية للبرازيل